داود عليه السلام ونبأ الخصم

دراسة تحليلية من القرآن الكريم

بقلم

محمد صلاح أحمد شداد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبـارك عليـه وعلـى آلـه وصحبه أجمعين :

وبعد

فرسل الله صلواته وسلامه عليهم أجمعين هم الذين جعلهـم الله هـداة للخلق وأسوة للبشر وجعلهم من أنفسنا وجنسنا ليكونوا حجة علينا في وجـوب إتباعهم ثم عصمهم من الذنوب والمعاصي لنثق في كل أقـوالهم وأفعـالهم ولا نرتاب في تصرفاتهم ولذلك أخبرنا الله أنه يختارهم بعناية فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١] وقـال : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٢]

وما ورد في القرآن أو في السنة ما ظاهره يُفْهَم على أنه مخالفات فهذا الفهم غير صحيح وله محامل صحيحة يحمل عليها حتى يوافق المقرر شـرعاً من عصمة الأنبياء عليهم سلام الله وصلواته .

وكل ما ورد في بعض كتب التفسير مما يقدح فـي عصـمة الأنبيـاء فمأخوذ عن بني إسرائيل ولم يصح منه في الإسلام شيء .

---

١ - الحج : ٧٥ .

٢ - الأنعام : ١٢٤ .

وسيدنا داود عليه الصلاة والسلام من الأنبياء الذين تجب لهم العصمة في الإسلام لدخوله في جملة الآيات التي مدحت أنبياء الله تعالى وقد خصه الله بالمدح وكذلك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خصه بمدح عظيم - على ما سيأتي إن شاء الله - مما يرفعه إلى مصاف الأسوات الحسنة في كل شيء .

وهذا البحث تفسير للآيات التي تحدثت عن فتنة سيدنا داود صلى الله عليه وسلم من سورة (ص) حاكياً الأقوال المحتملة في تفسيرها مع بيان علة المردود منها وترجيح الراجح مشفوعاً بأدلة ترجيحه .

والله الكريم أسأل أن يجنبني والمسلمين الزلل والخطأ وأن يغفر ما عساه أن يكون قد وقع فحسبي أني أردت الحق وبحثت عنه كما أسأله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التعريف به عليه السلام

هو سيدنا داود عليه السلام بن إيشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في ارض بيت المقدس عليه السلام [١] .

والقرآن الكريم والسنة الصحيحة ذكرا سيدنا داود عليه السلام بمواقف وأوصاف يجدر بنا أن نذكر بعضها لنلقى بعض الضوء عليه حتى نعرف عمن نتحدث.

وأول ذكر لداود عليه السلام في القرآن جاء في قصة الملأ من بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ

---

[١] - البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص ١٠ ط دار الحديث القاهرة وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٨١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

وهذا الملأ من بنى إسرائيل كان بعد عهد موسى عليه السلام كما نص القرآن على ذلك قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً أي أقم لنا أميراً نصدر عن أمره ونقاتل معه وبعد أن أخذ العهد والميثاق منهم على عدم العصيان والتولي أخبرهم بأن الله قد حدد لهم طالوت أميراً عليهم وقائداً لحروبهم ، وظاهر الآيات

١ - البقرة الآيات من ٢٤٣ إلى ٢٥١.

يشير إلى أنه كان رجلاً من آحاد الناس في أعينهم وعلى عادة بنى إسرائيل لا يصدقون خبر السماء حتى يروا بأعينهم ويلمسوا بأيديهم مع أن الخبر من نبي منهم فجعل الله علامة رضاه بتمليك طالوت عليهم أن يرد عليهم التابوت الذي أخذ منهم تحمله الملائكة لعلهم يؤمنون ثم ابتلاهم الله بنهر فشربوا منه إلا القليل وبعد مجاوزة النهر استقلوا أنفسهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وذكرهم الموقنون منهم بلقاء الله أنه كم من جماعة قليلة هزمت الكثير من الأعداء بإذن الله تعالى ووجهوهم إلى الصبر والله مع الصابرين فدعوا ربهم سبحانه " ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين " فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .

والملاحظ على ورود ذكر داود هنا أنه لم يجر له ذكر في القصة على طولها قبل وقت النصر وكأنه عليه السلام جعله الله أداة للنصر ولم يكن بنو إسرائيل يتوقعون منه ذلك مما يدل على أنه عليه السلام كان منذ صغره موصولاً بالله وأظهر الله على يديه ما يدل على كرامته كما هي عادة الأنبياء أجمعين.

ومن المواضع التي ذُكر فيها سيدنا داود عليه السلام في القران قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١) .

ففي هذه الآيات يذكر الله أنبياءه عليهم السلام – ومنهم داود عليه السلام ويصفهم بأوصاف كثيرة منها :أنهم هم المحسنون في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وأنهم من الصالحين في قوله ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ وأنه من الذين فضلهم الله على العالمين في قوله ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وأنه من الذين اجتباهم الله وهداهم إلى صراط مستقيم" إلى غير ذلك من الأوصاف التي تؤهلهم لأن يأمر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ بأن يقتدي بهداهم في قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ .

روى البخاري بسنده أن مجاهداً سأل ابن عباس عن دليل سجدة سورة (ص) فقال له أو ما تقرأ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ

١ – سورة الأنعام من آية ٨٣ إلى ٩٠.

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ. (١)

ومن الآيات قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ
وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٢)

يخبر سبحانه أنه أعطى داود منه فضلاً عظيماً ومن بين ما أتاه حسن الصوت فكانت الجبال ترجع معه تسبيحه وكذلك الطير كانت تعيد معه ذكره لله تعالى ، وقد أعطاه الله لين الحديد أي (جعله في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق) . (٣)

١ – صحيح البخاري ك التفسير باب تفسير سورة ص ج ٤ ص ١٨٠٨ .
٢ – سبأ : ١٠ ، ١١.
٣ – البيضاوي ج ٤ ص ٣٩٤.

والسنة النبوية المطهرة ذكرت نبي الله داود ﷺ بصفات تدل على علو مكانته وزيادة رتبته ﷺ فمن ذلك :

أ- مدحه له ﷺ على عمله وأكله من عمل يده مع أنه كان ملكاً مشغولاً برعيته قائماً بحقوقها فقال ﷺ " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ". (١)

والمتأمل في الحديث يجد أنه : لا يفاضل بين الحلال من الأكل والحرام و إلا لما كان يصح أن يضرب المثل بداود عليه السلام فإنه لا يظن فيه الأكل من الحرام وإنما يفاضل بين درجات الحلال فذكر أن أعلاها وخيرها هو الأكل من عمل اليد وإن كان للإنسان دخل آخر هو حلال يأتيه بدون عمل ولذلك كان ضرب المثل بداود عليه السلام أوقع فهو نبي ملك فعنده من المشاغل ومصادر الرزق ما يغنيه عن عمل اليد .

ب- وكما مدحه رسول الله ﷺ في أمر دنياه وأنه قدوة في تحصيل الرزق مدحه كذلك في أمر آخرته فجعله قدوة في العبادة من صلاة وصيام فقال ﷺ: " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً " (٢)، فسيرته الدينية أحسن السير فهو قدوة يرشد النبي ﷺ أمته إلى عبادته ويجعلها أفضل العبادات وسيرته الدنيوية أفضل السير فلا يأكل مما ملكه الله تعالى وهو حلال له ولكنه يأكل من عمل يده ﷺ .

---

١ - البخاري ك البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ج ٢ ص ٧٣٠ ط دار ابن كثير - اليمامة

٢ - صحيح البخاري ج ١ص ٣٨٠ ك التهجد باب من نام إلى السحر

آيات البحث

قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾

سورة ص من الآية ٢١ إلى ٢٤

لغويات الآيات

ومن المفيد أن نذكر معاني المفردات لأن لها دخلاً في فهم المراد من فتنة داود عليه السلام .

قوله تعالى **[وهل أتاك]** " استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيزه لإيذانه بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع فيما بين حاضر وباد " [١] .

[النبأ] : هو الخبر والجمع أنباء والنبأ هو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي يقال له نبأ أن يعرى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله ورسوله ﷺ [٢].

[الخصم]: هو المنازع يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع لأنه في الأصل مصدر ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول خصمان وخصوم والخصيم أيضاً الخصم والجمع خصماء وخاصمه مخاصمة وخصاما والاسم الخصومة [٣]

[تسوروا]:أي قصدوا سوره ونزلوا من أعلاه والسور الحائط المرتفع. [٤]

[المحراب] : هو صدر البيت ومقدمه الذي لا يكاد يوصل إليه إلا بفضل منه وقوة وجهد وهو موضع محاربه العابد للشيطان .

وقال القرطبي المحراب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلّى فيه محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم [٥] .

---

[١] – تفسير أبي السعود ٢٢٠/٧ .

[٢] – لسان العرب ١٦٢/١ ، مادة : نبأ .

[٣] – مختار الصحاح ٧٥/١ ، مادة خصم .

[٤] – إعراب القرآن وبيانه مجلد ٤٥٠/٧ .

[٥] – التعاريف ص ٦٤٢ والقرطبي ٢٧١/١٤ ولسان العرب ٣٠٥/١ .

وعليه فالمحراب هو المكان المخصص للعبادة سواء كان مقدمة المسجد أو غرفة في بيت أو موضع أعد لهذا الغرض .

[ففزع] الفزع : انقباض ويقال : لما يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه [١] .

والفزع والخوف من الأمور الجائزة على أنبياء الله عليهم السلام لأنه من الطبيعة البشرية وهم بشر صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد فزع ﷺ لأنهم لم يدخلوا من المكان الطبيعي ولكنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة .

[بغى بعضنا على بعض] البغي : التعدي وبغى عليه استطال [٢] .

وفي عدم تعيين المعتدى من المعتدى عليه في عرض القضية إنصاف للغير وترك تحديد الجاني لمن تحاكما إليه فيه عدم إعطاء حكم سابق يؤثر على القاضي .

[ولا تشطط] : يقال شطت الدار تشط بضم الشين وكسرها شطا وشطوطاً بعدت وأشط في القضية أي جار واشتط أي أبعد والشط جانب النهر والشطط بفتحتين مجاوزة القدر في كل شيء وفي الحديث [لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط أي لا نقصان ولا زيادة] [٣] .

[سواء الصراط] : وسط الطريق الصواب ومحجته [٤] ويقال ساويت هذا بذاك إذا رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه قال تعالى ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ

---

[١] – التعاريف ص ٥٥٥ .

[٢] – مختار الصحاح ٢٤/١ ، مادة : بغى .

[٣] – مختار الصحاح ١٤٢/١ ، مادة : شطط ، والحديث في المستدرك على الصحيحين ١٩٦/٢ .

[٤] – إعراب القرآن ٤٥١/٦ .

الأول : ينسب إلى داود عليه السلام السعي في قتل احد قواده ليتزوج بامرأته وهناك مرويات في ذلك لابد من تحقيق إسنادها والحكم عليها.

الثاني : ينسب إلى داود عليه السلام مجرد النظرة فقط وفيه أيضاً روايات وسوف أحقق القول فيه كذلك إن شاء الله تعالى .

الثالث : ينسب إلى داود عليه السلام أمراً خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه ﷺ.

وإليك حكاية الأقوال مع الآثار الدالة عليها والحكم عليها :

القول الأول : ذهب أصحابه إلى أن داود عليه السلام أحب امرأة فقدم زوجها في الغزو بغرض قتله حتى قتل ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى وبعث إليه ملكين في صورة خصمين ليبين خطأه وقد روى الإمام الطبري وغيره آثاراً تدل على ذلك وإليك بيانها .

قال الطبري : حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ قال إن داود قال يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله قال الله إني ابتليتهم بما لم أبتلك به فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله ﷺ من المحراب فأرسل إليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب إلى أمير السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه إذ تسور

عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون على محرابي قالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا قال أحدهم ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴿٢٣﴾ ﴾ يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شيء ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال إن دعوت ودعا كان أكثر وإن بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ قال له داود أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ونسي نفسه ﷺ فنظر أحدهما إلى الآخر فتبسم أحدهما إلى الآخر فرآه داود ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ وظل يبكي أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شدد الله له ملكه . [1] .

وقبل الكلام عما في المتن من ملاحظات ننظر في رجال الإسناد لنعرف درجة صحة المروي .

شيخ الإمام الطبري : هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي المتوفى سنة ست وسبعين ومائتين قال عنه الخطيب : كان ليناً في الحديث وقال الدارقطني : لا بأس به[2] .

---

[1] - جامع البيان للإمام الطبري ٩٣/٢٣ .

[2] - تاريخ بغداد ٣٢٢/٥ ، ولسان الميزان ١٧٤/٥ ، وميزان الاعتدال ٥٦/٣ .

الأول : ينسب إلى داود عليه السلام السعي في قتل احد قواده ليتزوج بامرأته وهناك مرويات في ذلك لابد من تحقيق إسنادها والحكم عليها.

الثاني : ينسب إلى داود عليه السلام مجرد النظرة فقط وفيه أيضاً روايات وسوف أحقق القول فيه كذلك إن شاء الله تعالى .

الثالث : ينسب إلى داود عليه السلام أمراً خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه ﷺ.

وإليك حكاية الأقوال مع الآثار الدالة عليها والحكم عليها :

القول الأول : ذهب أصحابه إلى أن داود عليه السلام أحب امرأة فقدم زوجها في الغزو بغرض قتله حتى قتل ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى وبعث إليه ملكين في صورة خصمين ليبين خطأه وقد روى الإمام الطبري وغيره آثاراً تدل على ذلك وإليك بيانها .

قال الطبري : حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ قال إن داود قال يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله قال الله إني ابتليتهم بما لم أبتلك به فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله ﷺ من المحراب فأرسل إليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب إلى أمير السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه إذ تسور

عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون على محرابي قالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا قال أحدهم ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴿٢٣﴾ ﴾ يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شيء ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال إن دعوت ودعا كان أكثر وإن بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ قال له داود أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ونسي نفسه ﷺ فنظر أحدهما إلى الآخر فتبسم أحدهما إلى الآخر فرآه داود ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ وظل يبكي أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شدد الله له ملكه . [1] .

وقبل الكلام عما في المتن من ملاحظات ننظر في رجال الإسناد لنعرف درجة صحة المروي .

شيخ الإمام الطبري : هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي المتوفى سنة ست وسبعين ومائتين قال عنه الخطيب : كان ليناً في الحديث وقال الدارقطني : لا بأس به[2] .

---

[1] - جامع البيان للإمام الطبري ٩٣/٢٣ .

[2] - تاريخ بغداد ٣٢٢/٥ ، ولسان الميزان ١٧٤/٥ ، وميزان الاعتدال ٥٦/٣ .

أبوه هو : سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي قال عنه الإمام أحمد: ذاك جهمي ثم قال : لو لم يكن هذا أيضاً لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك [١] .

عم سعد السابق هو : الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي قاضي بغداد قال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال ضعيف الحديث [٢] .

أبو عم سعد أي جده هو : الحسن بن عطية العوفي قال ابن حبان عنه مرة أحاديثه ليست بنقية ومرة قال منكر الحديث وقال ابن حجر : ضعيف [٣] .

أبوه هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن قال أحمد عنه ضعيف الحديث وقال ابن حجر في التقريب : صدوق يخطئ كثيراً [٤] .

وابن عباس صحابي معدل بتعديل الله لصحابة نبيه ﷺ أشهر من أن يترجم له .

والحكم على الإسناد : أنه ضعيف بل مسلسل بالضعفاء فمثله لا يثبت به خبر ولا يؤخذ منه حكم .

أما المتن فنفهم منه أن داود عليه السلام تمنى زوجه غيره وعمل على قتل هذا الغير ونواه وأخذ بأسبابه ولكن الأسباب لم تثمر ما نواه ثم كفه الله ببعث الملكين ونحن نفهم مع الحافظ ابن كثير أن من نوى وعزم وأخذ بأسباب

---

١ – تاريخ بغداد : ١٢٦/٩ ، ولسان الميزان ١٨/٣ .

٢ – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٦/٣ ، والمغني في الضعفاء ١٧٠/١ .

٣ – تهذيب التهذيب ٤٩٨/١ ، والكاشف للذهبي ١٦٣/١ ، والضعفاء لابن حبان ٢٨٤/٢ ، وتقريب التهذيب ٢٠٦/١ .

٤ – الكاشف ٢٣٥/٢ ، والتقريب ٦٧٨/١ ، والميزان ٥٧٩/٣ .

المعصية ثم حالت الأسباب دون الوصول إلى الغاية كتبت عليه السيئة كمن فعلها لأنه لولا الأسباب لفعل ما نواه وعزم عليه .

قال الحافظ ابن كثير : واعلم أن تارك السيئة الذي لم يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح [فإنما تركها من جرائي] [١] أي من أجلي ، وتارة يتركها نسياناً وذهولا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيراً ولا فعل شراً ، وتارة يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال [إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالو يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟] قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه . [٢]

وداود في الرواية عزم وأخذ في أسباب عزمه ولكن الأسباب لم تثمر ما أراد فيحاسب على عزمه كأنه فعل لأن امتناعه ليس من خشية الله – كما يفهم من الرواية – .

وروى الطبري ما يفيد أن داود عليه السلام وصل إلى غرضه بقتل أوريا والتزوج من امرأته فقال: حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في قوله [وهل آتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب] قال كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأعطني مثل

---

١ – صحيح البخاري ك التوحيد باب قول الله يريدون أن يبدلوا كلام الله ٢٧٢٤/٦ .

٢ – صحيح البخاري ك الإيمان باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ٢٠/١ وانظر تفسير ابن كثير ٢٠١/٢ .

ما أعطيتهم وافعل بي مثل ما فعلت بهم قال فأوحى الله إليه إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلى إبراهيم بذبح ابنه وابتلى إسحاق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف وإنك لم تبتل من ذلك بشيء قال يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به وأعطني مثل ما أعطيتهم قال فأوحى إليه إنك مبتلى فاحترس قال فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامه من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلى فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه فتباعد حتى وقع في كوة فذهب ليأخذه فطار من الكوة فنظر أين يقع فيبعث في أثره قال فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل الناس خلقاً فحانت منها إلتفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به قال فزاده ذلك فيها رغبة قال فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال فبعث إلى صاحب المسلحة [1] أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا قال فبعثه ففتح له قال وكتب إليه بذلك قال فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منهم بأساً قال فبعثه ففتح له أيضاً قال فكتب إلى داود بذلك قال فاكتب إليه أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا فبعثه فقتل المرة الثالثة قال وتزوج امرأته قال فلما دخلت عليه قال لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلا فتسوروا عليه المحراب قال فما شعر وهو يصلى إذ هو بهما بين يديه جالسين ففزع منهما فقالا لا تخف إنما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط يقول لا تخف واهدنا إلى سواء الصراط إلى عدل القضاء.قال فقال قصا علي قصتكما قال فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فهو يريد أن يأخذ نعجتي فيكمل بها نعاجه مئة قال فقال للآخر ما

[1] - المسلحة : بوزن المصلحة قوم ذوو سلاح ، والمسلحة أيضاً كالثغر . انظر مختار الصحاح ، مادة : سلح ج١ ص ١٣٠ .

تقول ؟ فقال إن لي تسعا وتسعين نعجة ولأخي هذا نعجة واحدة فأنا أريد أن آخذها منه لأكمل بها نعاجي مئة قال وهو كاره ؟ قال وهو كاره قال وهو كاره قال إذن لا ندعك وذاك قال ما أنت على ذلك بقادر قال فإن ذهبت تروم ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته وتزوجت امرأته قال فنظر فلم ير شيئاً فعرف ما قد وقع فيه وما قد ابتلى به قال فخر ساجداً قال فبكى . قال فمكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها ثم يقع ساجداً يبكي ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه قال فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً يا داود ارفع راسك فقد غفرت لك فقال يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دماً يقول يا رب سل هذا فيم قتلني قال فأوحى إليه إذا كان ذلك دعوت أهريا فستوهبك منه فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة قال رب الآن علمت أنك قد غفرت لي قال فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض [1]

رجال الإسناد

محمد بن الحسين بن موسى بن أبي حنين الكوفي صدوق [2]

أحمد بن المفضل القرشي الأموى أبو علي الكوفي الحفري [3] قال عنه الإمام ابن حجر في التقريب : صدوق شيعي في حفظه شيء [4]

[1] - جامع البيان للطبري ج ٢٣ ص ٩٣،٩٤.

[2] - الجرح والتعديل ٢٣٠/٧.

[3] - الحفر : بفتح الحاء والفاء . هذه النسبة إلى محله بالكوفة يقال لها الحفر بفتح الحاء والفاء (الأنساب ٢٣٧/٢).

[4] - تهذيب التهذيب ٥٥/١ تقريب التهذيب ٤٦/١.

أسباط هو ابن نصر الهمذاني [1] أبو يوسف ويقال أبو نصر قال أبو حاتم سمعت أبا نعيم يضعفه وقال عنه بن حجر في التقريب صدوق كثير الخطأ يغرب [2]

السدى هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريم السدى أبو محمد القرشي مولاهم الكوفي الأعور وهو السدى الكبير ، كان يقعد في سدة باب الجامع فسمي السدى . قال العجلي ثقة راوية عالم بالتفسير راوية له . قال عنه ابن حجر في التقريب : صدوق يهم ورمى بالتشيع . توفى سنة سبع وعشرين ومائة [3]

الحكم على الإسناد

هذا إسناد ضعيف جداً

وأما المتن فيقص علينا أن داود عليه السلام تمادى في عزمه حتى قتل الرجل زوج من هواها قلبه وتزوجها وأنجب منها وهذا سوف أعرض له عند الحديث عن جميع تلك الروايات .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفة هذا الأثر بسنده فقال : حدثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن النبي ﷺ : أن داود عليه السلام قال أي رب بنو إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني يا رب لهم رابعاً فأوحى الله إليه أن يا داود : إن إبراهيم ألقى في النار فصبر وتلك بليه لم تتلك وإن اسحاق بذل نفسه ليذبح

[1] – الهمذاني : بالهاء والميم المفتحتين والذال المنقوطة بعدها ، وهى مدينة بالجبال مشهورة على طريق الحج والقوافل . (الأنساب ٦٤٩/٥) .

[2] – تهذيب التهذيب ١٣٧/١، تقريب التهذيب ٧٦/١ .

[3] – تهذيب التهذيب ١٩٩/١–٢٠٠٠ ، تاريخ الثقات ص٦٦ ، تقريب التهذيب ٩٧/١.

فصبر من أجلي فتلك بلية لم تتلك وإن يعقوب أخذت حبيبه حتى ابيضت عيناه فصبر وتلك بلية لم تتلك قال علي بن زيد وحدثنا خليفة عن ابن عباس أن داود حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم فقيل له إنك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك وقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور فوضعه في حجرة وأغلق باب المحراب وأقعد منصفاً [1]على الباب وقال لا تأذن لأحد على اليوم فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون الطير فيه من كل لون فجعل يدرج بين يديه فدنا منه فأمكن أن يأخذه فتناوله بيديه ليأخذه فاستوفزه من خلفه فأطبق الزبور وقام إليه ليأخذه فطار فوقع على كوة من المحراب فدنا منه أيضاً ليأخذه فوقع على حصن فأشرف عليه لينظر أين وقع فإذا هو بالمرأة ثم بركتها تغتسل من المحيض فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها بشعرها فقال داود للمنصف اذهب فقل لفلانه تجيء فأتاها فقال إن نبي الله يدعوك فقالت ما لي ولنبي الله إن كانت له حاجة فليأتني أما أنا فلا آتيه فأتاه المنصف فأخبره بقولها فأتاها فأغلقت الأبواب دونه فقالت ما لك يا داود أما تعلم أنه من فعلت هذا رجمتموها ووعظته فرجع وكان زوجها غازياً في سبيل الله فكتب داود عليه السلام أن انظر إلى أوريا فأجعله في حملة التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها فاشترطت عليه إن ولدت غلاماً أن يجعله الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسين من بني إسرائيل وكتبت عليه بذلك كتاباً فما شعر بفتنته أنه فتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور الملكان عليه المحراب فكان من شأنهما ما قص الله وخر داود ساجداً فغفر الله له وأناب وتاب الله عليه فطلقها وجفا سليمان وأبعده فبينما هو في مسير له وهو في ناحية القوم إذ أتى على غلمان له يلعبون فجعلوا يقولون يالا دين يا لا دين فوقف داود ما شأن هذا يسمي لا دين

[1] – لعله اسم لحاجب داود عليه السلام .

فقال سليمان وهو في ناحية القوم أما أنه لو سألني عن هذه لأخبرته بأمره فقيل لداود إن سليمان قال كذا وكذا فدعاه وقال ما شأن هذا الغلام سمي لا دين فقال سأعلم لك علم ذلك فسأل سليمان عن أبيه كيف كان أمره فقيل إن أباه كان في سفر له مع أصحاب له وكان كثير المال فأرادوا قتله فأوصاهم فقال إني تركت امرأتي حبلى فإن ولدت غلاماً فقولوا لها تسميه لا دين فبعث سليمان إلى أصحابه فجاءوا فخلا بأحدهم فلم يزل حتى أقر وخلا بالآخرين فلم يزل بهم حتى أقروا كلهم فرفعهم إلى داود فقتلهم فعطف عليه بعض العطف وكانت امرأة عابدة من بني إسرائيل وكانت تبتلت وكانت لها جاريتان جميلتان وقد تبتلت المرأة لا تريد الرجال فقالت إحدى الجاريتين للأخرى قد طال علينا هذا البلاء أما هذه فلا تريد الرجال ولا نزال بشراً ما كنا لها فلو أنا فضحناها فرجمت فصرنا إلى الرجال فأخذتا ماء البيض فأتتاها وهى ساجدة فكشفتا عنها ثوبها ونضحتا في دبرها ماء البيض وصرختا إنها قد بغت وكان من زنا منهم حده الرجم فرفعت إلى داود عليه السلام وماء البيض في ثيابها فأراد رجمها فقال سليمان أما أنه لو سألني لأنبأته فقيل لداود إن سليمان قد قال كذا وكذا فدعاه فقال ما شأن هذه وما أمرها فقال ائتوني بنار فإنه إن كان ماء الرجال تفرق وإن كان ماء البيض اجتمع فأتى بنار فوضعها عليه فاجتمع فدرأ عنها الرجم وعطف عليه بعض العطف وأحبه ثم كان بعد ذلك أصحاب الحرث وأصحاب الشياه فقضى داود عليه السلام لأصحاب الحرث بالغنم فخرجوا وخرجت الرعاة معهم الكلاب فقال سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمرهم لقضيت بينهم بغير هذا القضاء فقيل لداود إن سليمان يقول كذا وكذا فدعاه فقال كيف تقضي فقال ادفع الغنم إلى أصحاب الحرث هذا العام فيكون لهم أولادها وسلاها وألبانها ومنافعها ويبذر هؤلاء مثل حرثهم فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ

هؤلاء الحرث ودفع هؤلاء إلى هؤلاء الغنم قال فعطف عليه قال حماد وسمعت ثابتاً يقول هو أوريا [١]

رجال الإسناد : في هذا الإسناد طريقان أولهما :

عفان هو عفان بن مسلم الصفار أبو عثمان روى عن شعبة وحماد بن سلمة وغيرهما وعنه أبو بكر بن أبي شيبة والحسن بن مسلم وغيرهما ثقة ثبت قال ابن المديني كان إذا شك في حرف من الحديث تركه وربما وهم وقال ابن معين أنكرناه في بني سنة تسع عشرة ومائه ومات سنة عشرين ومائتين [٢]

حماد بن سلمة هو ابن دينار البصري أبو سلمة وهو بن أخت حميد الطويل روى عنه ابن المبارك وعفان ووكيع وغيرهم وروى عن ثابت البناني وعلي بن زيد بن جدعان وغيرهما كان زاهداً عابداً ثقة وتغير حفظه بآخره مات سنة سبع وستين ومائه . [٣]

علي بن زيد بن جدعان التميمي البصري الضرير روى عن الحسن وابن المسيب وغيرهما وعنه السفيانان وابن سلمة وغيرهما قال أحمد ويحيى ليس بشيء وقال ابن حجر ضعيف مات سنة إحدى وثلاثين ومائه وقيل تسع وعشرين ومائه. [٤]

الحسن : هو ابن يسار البصري أبو سعيد مولي الأنصار ، أخرج له الجماعة ووثقه العلماء واعتبروا مرسلاته أصح المراسيل قال بن حجر: ثقة فقيه

---

[١] – مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ك الفضائل باب ما ذكر من أمر داود عليه السلام ط مكتبة الرشد– الرياض .

[٢] – الجرح والتعديل ج ٧ ص ٣٠ وميزان الاعتدال ج ٥ ص ١٠٢ والتقريب ٣٩٣/١ .

[٣] – لسان الميزان ج٧ ص ٣٠٢ والكامل ج٢ ص ٢٥٣ والتقريب ج١ ص ١٧٨ .

[٤] – لسان الميزان ج٧ ص٤٩٠ والتقريب ج١ ص ٤٠١ .

فاضل ومشهور، وكان يدلس.[1] توفي سنة عشر ومائة . [2]

والأحنف بن قيس هو بن معاوية بن حصين أبو بحر التميمي أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل اسمه الضحاك وقيل صخر وشهر لمزيته لحنف

---

[1] – التدليس في اللغة مأخوذ من الدلس –بالتحريك – أي الظلمة [اللسان ١٠٠٢/١ مادة دلس] وفي اصطلاح علماء الحديث ينقسم إلى قسمين :

أ- تدليس الإسناد : وهو أن يروي المحدث عمن لقيه من الرواة ما لم يسمعه منه موهماً أنه سمعه منه أو عمن عاصره ولم يلقه هو موهماً أنه لقيه وسمعه منه، ومن شأنه أنه لا يقول في ذلك : أخبرنا ولا حدثنا وما أشبهها وإلا كان كذباً صريحا وإنما يقول :قال فلان أو عن فلان ونحو ذلك من العبارات غير الصريحة في السماع.

ب- تدليس الشيوخ : وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه فيسميه بكنية أو صفة بما لا يعرف به ، وقد كره العلماء التدليس بنوعيه وإن كانت كراهيتهم للأول أشد

قال بن الصلاح أما القسم الأول فمكروه جداً ذمه أكثر العلماء وكان شعبة من أشدهم ذماً له فروينا عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال التدليس أخو الكذب ثم اختلفوا في قبول رواية من عرف بالتدليس ، فجعله فريق من أهل الحديث والفقهاء مجروحاً بذلك وقالوا لا تقبل روايته بحال . بين السماع أو لم يبين والصحيح التفصيل : وأن ما رواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال حكمه حكم المرسل وأنواعه ، وما رواه بلفظ مبين للاتصال نحو سمعت وأخبرنا وأشباهها فهو مقبول محتج به. أنظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة بن الصلاح لزين الدين العراقي ص ٩٥ وما بعدها بتصرف د / عبد الرحمن محمد عثمان ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط الأولى ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م والحديث والمحدثون د / محمد محمد أبو زهو ص ٣١١ وما بعدها بتصرف ط دار الفكر العربي وأنظر تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطى ٢٢٣/١ تحقيق/ عبد الوهاب عبد اللطيف منشورات العلمية بالمدينة المنورة ط الثانية ١٩٥٢م.

ووصف الإمام الحسن البصري بالتدليس لا ينقص من عدالته وثقته ، لأن تدليسه مقبول فقد جعله الإمام بن حجر ضمن الطبقة الثانية من طبقات المدلسين وهم من وصفوا بالتدليس ويقبل تدليسهم لقلته ولكونهم لا يدلسون إلا عن الثقات، وكان الحسن كذلك انظر معرفة أهل التقديس بمراتب المعروفين بالتدليس لابن حجر ص ٢٩ ط مكتبة المنار الأردن ت د / عاصم القريوني .

[2] – تهذيب التهذيب ٤٨١/١ ، وفيات الأعيان ٦٩/٢ ط دار الثقافة – بيروت ت إحسان عباس ، وتقريب التهذيب ١١٥/١ .

رجليه وهو العوج والميل كان سيد تميم أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر حدث عن عمر وعلي وغيرهما وعنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما وثقه ابن معين وكان قليل الحديث. [1]

---

[1] – سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٨٧ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٢٢ وتهذيب التهذيب ج١ ص ١٦٧ .

الحكم على الإسناد

هذا الإسناد في غاية الضعف لضعف علي بن زيد بن جدعان ، وأما الطريق الثاني والذي فيه قصة أوريا فهو عن ابن زيد عن خليفة عن بن عباس وخليفة هذا مجهول تفرد عنه بن جدعان وابن جدعان لا يحتمل تفرده نظرا لضعفه .

قال الذهبي خليفة عن ابن عباس بقصة توبة داود عليه السلام تفرد عنه بن جدعان مجهول ووافقه ابن حجر في اللسان ونقل عبارته [١] وعليه فهذا الإسناد أيضاً في غاية الضعف للجهل بخليفة هذا والمتفرد بالرواية عنه ضعيف فيزداد الضعف ضعفاً

نظرات في تلك المرويات

من ينظر في هذه المرويات يجد عدة ملاحظات لا يجوز له أبداً أن تخطئها عينه وهى :

(١) أن جميع المرويات في تفسير هذه القصة الواردة في الآيات لم تثبت و إسنادها مسلسل بالضعفاء وعليه فلم يصح قول مأثور يلزمنا الأخذ به .

(٢) وجود تناقض بين الروايات التي ذكرت القصة فبعضها يقول إن الله استنقذه من عزمه وتصميمه فنصر أوريا في كل موقعة دخلها ثم ذكر داود بالملكين المتسورين عليه المحراب وبعض الروايات يذكر أنه تم له قتل أوريا وتزوج بامرأته وولدت له سليمان عليه السلام والحديثان المتعارضان أن علم أحدهما متقدماً على الآخر قيل بالنسخ كما يقول العلماء ، ولكن يمتنع هنا القول

[١] – ميزان الاعتدال ج٢ ص ٤٥٨ ولسان الميزان ج ٢ ص ٤٠٩.

بالنسخ لأن موضوع الحديثين أخبار والنسخ لا يدخل الأخبار كما قرر العلماء لان القول بالنسخ في الأخبار يؤدي إلى كذب أحد الخبرين وإن لم يثبت النسخ أخذنا بالراجح منهما وأوجه الترجيح كثيرة جداً منها أن يكون أحدهما أصلح من الآخر [١] والحديثان اللذان معنا ضعيفان وليس أحدهما بأحق من الآخر في العمل به وتنطبق عليهما القاعدة القائلة (تعارضا فتساقطا) .

(٣) هذه المرويات تخالف المقرر شرعاً من جعل الأنبياء أعرف الناس بالله عز وجل وأخشاهم له وأتقاهم له سبحانه ، والنصوص الشرعية تنطق بأن الرسل عليهم السلام يصطفيهم الله وذلك في مثل قول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٢] وقوله ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٣] وكذلك الآيات الآمرة بالإقتداء بالرسل في مثل قوله تعالى في سورة الأنعام بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً قال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [٤] وقوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٥] وقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٦] وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ

[١] – الباعث الحثيث ص ١٤٩ ط مكتبة دار التراث .

[٢] – الأنعام :١٢٤.

[٣] – الحج :٧٥ .

[٤] – الأنعام :٩٠ .

[٥] – الممتحنة :٤ .

[٦] – الأحزاب :٢١ .

تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [١] وقوله في خاتم رسله ﷺ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [٢] وقوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [٣] وكل الآيات السابقة تنطبق على داود عليه السلام لأن كل الرسل متماثلون فيما يجوز عليهم وما لا يجوز والتفريق في الأحكام على أفراد التماثل لا ترضاه العقول وعليه فهذه الأوامر كلها وأمثالها بإتباع الرسل واتخاذهم مثلاً علياً وقدوات لنا تدل على عدم توقع المخالفات الشرعية وإلا لكان سبحانه وتعالى امراً لنا بأن نفعل مثل ذنوبهم وحاشاه سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [٥] .

(٤) هذه المرويات تخالف المقرر لدى علماء أصول الدين من أن العصمة واجبة للأنبياء عليهم السلام ومعنى العصمة حفظ من الله سبحانه للرسل من أن يكفروا حتى قبل الرسالة وأن يرتكبوا الكبائر مطلقاً وأن يتعمدوا الصغائر أو مخالفة ما هو أولى في حقهم بعد الرسالة فالله سبحانه يعصمهم من كل ذلك . [٦]

---

[١] – الأنفال ٢٠ .

[٢] – النور :٥٤.

[٣] – الحشر :٧ .

[٤] – الأعراف ٢٨ .

[٥] – النحل ٩٠.

[٦] – انظر : النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام ا.د محي الدين الصافي ط دار الطباعة المحمدية ص٧٢

(٥) هذه الروايات تخالف معاني مفردات الآيات فالروايات تقول بأن الآيات مضرب مثل لما وقع من داود عليه السلام وتجعل الخصمين وكلامهما وروايتهما لا وجود لها وإنما كل ذلك وسائل توضيح فقط وأما مفردات الآيات فأضواؤها تقول غير ذلك فالله سبحانه أسند لفظ النبأ إلى الخصم وعليه فما جاء بعد ذلك من نبئهم هم والروايات تقول إنه هو من نبأ داود عليه السلام فمن أولى بالتصديق ؟

وكذلك هناك مفردات في الآيات تعطي دلالات لا يجوز صرفها عن حقيقتها إلى المجاز من المعاني إلا بصارف قوي ولم يوجد مثل : تسمية نفسيهما خصمين ووصف البعض منهم – بدون تحديد – بالبغي على البعض الآخر وكذلك إخبارهم عن ملكهم للنعاج ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ ولفظ النعجة أول ما يتبادر من اللفظ عند المخاطبين بالقرآن أنثى الضأن ولا يصح صرفه إلى المجاز من المعاني إلا بقرينة قوية ولا قرينة هنا.

وكذلك لفظ [الخلطاء] في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فهذا اللفظ كما مر في معاني المفردات هو من خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً وخلطه فأختلط مزجه فالخلطاء هنا الشركاء الذين لا يتميز ملك كل واحد من ملك صاحبه إلا بالقسمة . [١]

فالشركة تتصور في النعاج وغيرها من الحيوانات ولا تتصور في المراة أبداً فيمكن لواحد أن يعطي آخر نعجته ونتاجها يكون مناصفة أو ما شابه ذلك

---

[١] – لسان العرب ج ٧ ص ٢٩٢.

وهذا لا يقع في المرأة .وكذلك في قوله تعالى على لسان داود عليه السلام ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ هذا القول يخالف الروايات المذكورة لأنه استثنى المؤمنين العاملين للصالحات من البغي وحكم عليهم بأنهم قليل في عددهم وداود عليه السلام – وهو نبي قومه ورسولهم وملكهم بتمليك الله سبحانه – إن لم يكن من هذا القليل فمن يكون ؟ صلى الله على نبينا محمد وعلى نبي الله داود وسائر أنبيائه ورسوله .

(٦) النظر في سياق الآيات ولحاقها ينفي كل تلك الروايات وبيان ذلك أن الله تعالى وصف سيدنا داود عليه السلام قبل أن يذكر آيات فتنته بصفات عشر وصفات أخرى عقب هذه الآيات وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل القبيح والعمل المنكر .

وخير من عدد تلك الصفات وذكر نفيها للقصة كلها الإمام الرازي إذ يقول: أما الصفات المذكورة قبل آيات الفتنة :

فالصفة الأولى : أنه تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يقتدي بداود في الصبر [1] مع المكابدة ولو قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرىء مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمداً ﷺ أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله .

وأما الصفة الثانية : فهي أنه وصفه بكونه عبداً له – في قوله عبدنا – والمقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا إن داود عليه

[1] – في قوله تعالى ((اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود))

السلام انشغل بتلك الأعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة .

الصفة الثالثة : قوله ﴿ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ أي ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات ، والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن لا يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم ؟

الصفة الرابعة : كونه أواباً كثير الرجوع إلى الله ، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفاً بالقتل والفجور ؟

الصفة الخامسة : قوله ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ ﴾ أفترى أنه سخر له الجبال ليتخذه وسيلة إلى القتل والفجور ؟

الصفة السادسة : قوله ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أي تجتمع الطير عند سماع صوت داود وترجع معه كما ترجع الجبال فكيف تأمنه الطير على نفسها ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه.

الصفة السابعة : قوله ﴿ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ومعناه كل واحد من الجبال والطير أواب أي راجع أي يعيد تسبيحه.

الصفة الثامنة : قوله تعالى ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ أي قويناه ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شدد ملكه بأسباب الدنيا ،بل المراد أنه تعالى شدد ملكه بما يقوي الدين وأسباب سعادة الآخرة ، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك ؟

التاسعة والعاشرة : قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً فكيف يجوز أن يقول الله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ مع إصراره على ما يستنكف عنه الخبيث من مزاحمة أصحابه في الروح والمنكوح، فهذه الصفات المذكورة قبل القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب.

وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فهي:

الأولى : قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ وذكر هذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله أما إن كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ لائقا به.

الثانية : قوله تعالى ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه :

أحدها : أن الملك الكبير إذا حكى عن بعض عبيده أنه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم ، بعد فراغه من شرح القصة على ملأ من الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي وإنابتي وذلك لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب الزجر والحجر، فأما جعله نائباً وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق ،

وثانيها أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة، ثم قال بعده ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أشعر هذا بأن

الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المنكرة، ومعلوم أن هذا فاسد، أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب أن يذكر عقيبه ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فثبت أن هذا الذي نختاره أولى.

والثالث : وهو أنه لما كانت مقدمة الآية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرتها أيضاً دالة على ذلك ، فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعايب لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة في أرضه وصوب أحكامه وكما أن هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا هنا ، ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب العيوب .

والرابع : وهو أن القائلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أن داود عليه السلام تمنى أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله إليه أنهم إنما وجدوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فأوحى الله إليه أنك ستبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة ، فنقول أول حكايتهم يدل على أن الله تعالى يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب إخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة ويثبت أن الحكاية التي ورد ذكرها يناقض أولها آخرها . [1]

[1] - التفسير الكبير للإمام الرازي ج ٢٦ ص١٩٠ وما بعدها .

(٧) حقيقة هذه القصة أنها مأخوذة عن اليهود – واليهود أكذب الخلق على الله تعالى – وغرضهم تشويه القدوات في أعين الناس وقد وجدت هذه القصة في توراتهم المزعومة على أقبح مما وجد في كتب التفسير ، فداود في توراتهم ضاجعها وهي متزوجة وحبلت من هذه المضاجعة ، وأرسل داود إلى زوجها ليجامعها وينسب الولد له ، هل رأيت أبشع من ذلك ؟! فلما لم يجامعها زوجها دبر قتله ، وإليك نص ما رواه كتابهم في الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر :

((**ففي الإصحاح الحادي عشر :** وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعان أمرأة أوريا الحثي . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها . وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى . فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلي أوريا الحثي . فأرسل يوآب أوريا إلى داود . فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب . وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك . ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته . فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا أما جئت من السفر . فلماذا لم تنزل إلى بيتك . فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي . وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر . فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك . فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده . ودعاه داود فأكل أمامه

وشرب وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل .

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان في محاصرة يواب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه . فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً . فأرسل يواب واخبر داود بجميع أمور الحرب . وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال أما علمتم أنهم يرمون من على السور من قتل أبيما لك بن يربوشث . ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص لماذا دنوتم من السور فقل قد مات عبدك أوريا الحثي أيضا .

فذهب الرسول وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يواب وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب . فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثي أيضاً . فقال داود للرسول هكذا تقول ليواب . لا تسؤ في عينيك هذا الأمر لان السيف يأكل هذا وذاك . شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده . فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً . وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب .

وفي الإصحاح الثاني عشر : فأرسل الرب ناثان إلى داود . فجاء إليه وقال له . كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهم غني والآخر فقير . وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها

ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعا . تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة . فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيء للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه . فحمي غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان حي هو الرب أنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق .

فقال ناثان لداود أنت هو الرجل .)) [١]

(٨) وأحسن ما أختم به ملاحظاتي على تلك المرويات كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره حيث قال ((قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذه من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً)) [٢]

هذا كان أول التفسيرات في الآيات وهو أن تفسر بما ينسب إلى داود عليه السلام ارتكاب الكبائر .

وثاني التفسيرات روايات ذكرت فتنة داود عليه السلام وفسرته بما ينسب إلى داود عليه السلام الصغائر وذلك مثل ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وهناد في الزهد فكلاهما قال : حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال لما أصاب داود الخطيئة وإنما كانت خطيئتة أنه لما أبصرها أمر بها فعزلها لم يقربها فأتاه الخصمان فتسوروا المحراب فلما أبصرهما قام إليهما فقال اخرجا

[١] – العهد القديم ، صفر صموئيل الثاني ، الإصحاح الحادي عشر الفقرات من ٢ : ٢٦ ، والإصحاح الثاني عشر الفقرات ١ : ٧.

[٢] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٢ .

علي ما جاء بكما إلى ؟ فقالا إنما نكلمك بكلام يسير إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهو يريد أن يأخذها منى فقال إنه أحق الناس أن يكسر منه من لدن هذه إلى هذه يعني من صدره إلى أنفه فقال الرجل فهذا داود قد فعله قال فعرف داود أنه إنما يعنى بذلك وعرف ذنبه فخر ساجدا أربعين يوما وكانت خطيئته مكتوبة في يده ينظر إليها لكيلا ينساها فيغفل حتى نبت البقل من دموعه ما غطى رأسه فنادى بعد أربعين يوما ربه أن قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء " قال فنودي أجائع فتطعم أم عريان فتكسى أم مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما يليه من البقل حين لم يذكر خطيئته فعند ذلك غفر له فإذا كان يوم القيامة قال له ربه كن أمامي فيقول أي رب ذنبي فيقول له كن خلفي فيقول رب ذنبي ذنبي فيقول خذ بقدمي قال فيأخذ بقدمه " .[١]

رجال الإسناد

هناد بن السري بن مصعب اليمني التميمي أبو السري الكوفي روى عن شريك وأبي الاحوص ووكيع وخلق غيرهم وعنه مسلم والبخاري في غير الصحيح وآخرون مات سنة ٢٤٣هـ .

قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال بن حجر ثقة [٢] .

ابن فضيل هو : محمد بن فضيل بن غزوان بفتح المعجمة وسكون الزاي الضبي مولاهم أبو عبد الرحمن الكوفي روى عن إبراهيم الهجري وليث بن أبي

[١] – مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ص ٣٤٢ ك الفضائل باب ما ذكر من أمر داود عليه السلام وتواضعه وكتاب الزهد لهناد ج ١ ص ٢٦٢ باب البكاء ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت سنة ١٤٠٦ هـ .

[٢] – طبقات الحافظ ج ١ ص ٢٢٤ ، وتهذيب الكمال ج ٣٠ ص ٣١٢ وتقريب التهذيب ج ١ ص ٥٧٤ .

سليم وغيرهم وعنه ابن أبي شيبة وهناد بن السري وواصل بن عبد الأعلى وغيرهم كان شيعيا محترفا وقال النسائي : ليس به بأس وقال بن حجر صدوق رمى بالتشيع [١] .

ليث بن أبي سليم بن زنيم الليثي الكوفي واسم أبي سليم أنس روى عن مجاهد وطاوس ؟ وعطاء وغيرهم وعنه الثوري وحسن بن صالح وغيرهما ضعفه بن عيينه والنسائي وقال أحمد مضطرب الحديث ولكن قد حدث عنه الناس وقال السعدي يضعف حديثه قال : ابن حجر صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك [٢] .

ومجاهد هو بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين ثقة إمام في التفسير والعلم مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة [٣] .

الحكم على الإسناد

هذا الإسناد في غاية في الضعف فيه ابن فضيل شيعي وليث مضطرب الحديث وقد اختلط.

ومن الآثار المبينة أنه ﷺ لم يرتكب الكبائر وإنما أتى بصغيرة من الصغائر ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه قال :

حدثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير قال إنما كانت فتنة داود النظر [٤]

---

[١] – تهذيب الكمال ج ٢٦ ص ٢٩٧ وتقريب التهذيب ج ١ ص ٥٠٢.
[٢] – الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ٣ ص ٢٩ ط دار الكتب العلمية .
[٣] – سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ والتقريب ج ١ ص ٥٢٠.
[٤] – مصنف بن أبي شيبة ج ٦ ص ٣٤٢ .

رجال الإسناد

خلف بن خليفة بن صاعد بن برام الأشجعي روى عن يعلي بن عطاء وأبي هاشم الروماني وغيرهما وعنه أحمد الموصلي وابن أبي شيبة وغيرهما قال يحيى لا بأس به وكذبه ابن عيينة وقال ابن حجر صدوق اختلط في الآخر [١] .

وأبو هاشم هو يحي بن دينار الروماني سمع إبراهيم وأبا العالية وروى عنه خلف بن خليفة كان يخطىء وقال أبو حاتم كان فقيها صدوقا [٢] .

وسعيد بن جبير هو ابن هاشم الإمام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد أبو محمد أحد الأعلام كان ثقة ثبتا فقيها وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين [٣] .

الحكم على الإسناد

هذا الإسناد ضعيف لضعف خلف بن خليفة .

التعليق على الآثار

هذه الروايات في فتنة داود عليه السلام والتي تفيد انه ما عرض زوجها للقتل وإنما نظر إليها فقط لا يجوز أن نفسر بها القرآن وذلك للأسباب الآتية :

١ – أنها كلها ضعيفة الإسناد و ضعيف الإسناد لا يجوز تفسير القرآن به ولو كانت هذه الآثار صحيحة الإسناد مرفوعة إلى رسول الله ﷺ لتكلفنا لها تفسيراً وتأويلاً كما قال العلماء في حديث كذبات إبراهيم

---

[١] – الضعفاء لابن الجوزي ج ١ ص ٢٢٥ وتقريب التهذيب ج ١ ص ١٩٤.
[٢] – تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٨٦.
[٣] – سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢١ والتقريب ج ١ ص ٢٣٤.

الثلاث [١] . وأنها من باب المعاريض التي ظاهرها الكذب وحقيقتها الصدق وكذلك هم يوسف عليه السلام أقول : لو كانت هذه الآثار صحيحة مرفوعة لرسول الله ﷺ لتكلفنا لها تأويلا ، فأما أن تكون في مثل هذه الدرجة من الضعف فضعف إسنادها كفيل بردها .

٢ – إن القول بهذه الروايات الضعيفة يلزمنا بالقول بالمجاز في ألفاظ القصة من أن النعاج كناية عن النساء والخصمين ملكان والقول بالمجاز لابد له من صارف قوي لا تقوم به هذه الروايات .

٣ – لا يظن من يقول بهذه الأحاديث الضعيفة أنه ينسب إلى نبي الله داود أمرا هينا فالنظرة نظرتان إما الفجائية وهى ليست ذنبا أصلا ولا تستلزم الإفتتان لقول رسول الله ﷺ ((يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)) [٢] . فتعين أن تكون النظرة التي يؤاخذ عليها العبد ، وهذه النظرة ليست من المكروهات بل هي من المحرمات لنهي القرآن والسنة عنها نهياً شديداً واليك طرفا من ذلك :

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [٣] .

وقال ﷺ : [من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينيه]

[١] – صحيح البخاري ج ٣ ص ١٢٢٥ ك الأنبياء باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا.

[٢] – المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢١٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[٣] – النور : ٣٠،٣١.

[اطلع رجل من جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدري يرجل به رأسه فقال له رسول الله لو أعلم أنك تنظر طعنت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البصر][١]

وقال ﷺ [من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقئوا عينيه فلا دية ولا قصاص] [٢] .

فهذه النصوص الشرعية تجعل المسلم على حذر من نسبة مثل هذا الذنب إلى نبي جعله الله خليفة في الأرض ليحكم بين الناس فقد أمنه الله على خلقه كما أخبر الله في كتابه والآثار الواردة في معصية داود عليه السلام بضعفها لا تقوى على معارضة صريح القرآن وصحيح السنة .

الاحتمال الثالث في تفسير فتنة داود عليه السلام أن تفسر فتنته بغير معصية لا كبيرة ولا صغيرة وإنما هي مخالفة الأولى في حقه عليه السلام .

ومن ذلك قول من قال : أنه قال لبني إسرائيل حين ملك والله لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى أو أنه أعجبه كثرة عمله فابتلى أو أن أوريا خطب امرأة ثم أقدم داود عليه السلام على خطبتها فمال القوم إلى تزويجها من داود راغبين فيه وزاهدين في الخاطب الأول ولم يكن داود بذلك عارفاً وقد كان يمكنه أن يعرف ذلك فيعدل عن هذه الرغبة وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك من حيث أعجب بها إما وصفا أو مشاهدة على غير تعمد . [٣] أو انه نوى إن مات زوجها تزوجها أو أنه لما سمع بموت أوريا لم يجزع عليه كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج زوجته أو أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع للآخر

[١] – هذان الحديثان في صحيح مسلم ج ٣ ص ١٦٩٩ ك. الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره.

[٢] – سنن الدار قطني ج ٣ ص ١٩٩ رقم ٣٤٨ ط. دار المعرفة . بيروت .

[٣] – انظر زاد المسير ج ٧ ص ١١٦ والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج ١٥ ص ١٧٧ .

أو أنه عليه السلام طلب من زوجها أن ينزل له عنها وكان ذلك جائزا في شرعه أن يطلبوا من بعضهم ذلك . [١]

وقد انتصر للاحتمال الثالث وهو إتيان خلاف الأولى كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي حين قال ((وأقصى ما في هذه القضية الإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر وأناب عنه وما روى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان إن صح فلعله خطب مخطوبته أو أستنزله عن زوجته وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال على رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة. [٢]

وممن رد كون الفتنة معصية وجواز ارتكاب خلاف الأولى في حق الأنبياء أبو السعود حيث قال ((وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتاداً بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إن أعجبته خلا إنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به

[١] – فتح القدير ج ٤ ص ٤٢٧.
[٢] – تفسير البيضاوي ج ٥ ص ٤٣ .

وقيل بل خطب على خطبة أخيه فآثره أهلها وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب وأراد أخذها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة وهى امرأة أوريا فكتب أن يقدم في الغزو حتى قتل ثم تزوج امرأته فإفك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه.[١] والإمام الجمل في الفتوحات يذكر أنه لا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام أنه سعى في قتل مسلم من أجل شهوته فإن قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى

((وظن داود إنما فتناه)) وقوله ((فاستغفر ربه)) وقوله ((وأناب)) وقوله ((فغفرنا له ذلك)) قلت ليس في هذه الألفاظ ما يدل على ذلك وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت : فعلى هذا القول فما معنى الامتحان في الأيه قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود عليه الصلاة السلام ما زاد على أن قال للرجل : انزل عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا . وقيل : إن داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق غزو أوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى وقيل إن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك

[١] – تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٢١ . باختصار.

وقيل : إن ذنب داود الذي استغفر منه إنما هو بسب الخصمين وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل : هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما نسب إليه والله أعلم . [1]

فتحصل لنا في فتنة داود عليه السلام ثلاثة احتمالات :

الأول : ينسب إليه عليه السلام وقوع الذنب الكبير من سعي في سفك دم مسلم ليختلي بزوجته بعد موته بالزواج .

الثاني : نسبة الذنب الصغير إليه من نظرة وما شاكلها .

الثالث : نسبة إتيان ما هو خلاف الأولى في حقه عليه السلام .

ما أراه حقاً في المسألة :

١ – **الاحتمال الأول** : وهو نسبة الكبيرة إلى نبي الله داود عليه السلام – احتمال باطل لا يجوز الأخذ به وقد علقت على الآثار وفندت هذا الاحتمال بما لا يدع شبهة لطاعن .

٢– **وأما الاحتمال الثاني**: وهو نسبة النظرة الحرام إليه فقول لم يدل عليه دليل من ألفاظ الآيات وما ورد فيه من آثار سبق لك العلم بضعفها في هذا البحث مع عدم القطع بأن هذا الذنب صغيرة فالعلماء مختلفون في فصل الصغائر عن الكبائر والصغائر تحتف بها أمور تجعلها كبائر والمعول في

---

[1] – الفتوحات الإلهية لسليمان الشهير بالجمل نقلا عن الخازن من كلام الإمام فخر الدين ج ٣ ص ٥٦٧، ٥٦٨ ط الحابي.

مثل هذه الأمور النقل الصحيح ولم يحصل لنا ذلك وعليه فلا نلزم بالأخذ بهذا القول .

٣ – **والاحتمال الثالث** : الذي يقول بنسبة ما هو خلاف الأولى مع أن أكثر المفسرين يقول به إلا أنني لا أرتضيه وذلك لما يأتي :

أ– لم يرو المفسرون في ذلك أثراً يصح بل كل ما قالوه محض اجتهاد ولذلك اختلفت أقوالهم في تحديد ما هو خلاف الأولى هذا فبعضهم يقول هو قضاء داود بعد سماع كلام أحد الخصمين وقبل سماع الثاني وبعض يقول : بل هو مجرد طلب التنازل عن هذه الزوجة وكان ذلك سائغاً في شريعته وبعض يقول : إنه تمناها ثم اتفق موت زوجها مع أمنيته فتزوجها بدون ترتيب منه إلى آخر ما قيل مما يدل على أنه مجرد رأي اجتهد فيه قائله وهذا الأمر مما لا يجوز فيه الاجتهاد لأنه حوادث وأخبار ومثلها لا يقال بالاجتهاد بل العمدة فيها النقل ولم يصح نقل بهذه الأقوال فوجب رد هذه الآراء لأنها حكاية تاريخ بالظن والظن لا يغني عن الحق شيئا.

ب– من قال إن ما نعتقده أنه خلاف الأولى وليس بمعصية هو كذلك عند جميع العلماء بل هو خلاف الأولى من وجهة نظر قائله فما نظنه غير معصية يعتبره آخرون معصية وهذا عين ما حدث بالفعل فما ذكره بعض العلماء انه خلاف الأولى وليس بمعصية رده آخرون وعدوه من الذنوب والآثام فمثلاً القول بأنه عليه السلام قضى بحجة أحد الخصمين قبل سماع الآخر يقول الإمام القرطبي عن ذلك قال ابن العربي: أما قول من قال إنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر فلا يجوز على الأنبياء وكذلك القول بأنه نظر فقط لا يجوز ذلك عندي بأي حال لان طموح النظر لا يليق بالأولياء

المتجردين للعبادة فكيف بالأنبياء الذين هم وسائط الله المكاشفون للغيب . [١]

وكذلك الشيخ مصطفى الطير يذكر بعضا مما نعده خلاف الأولى ويرده فيقول : قال بعض المفسرين في بيان زلته إنه رأى امرأة وزير له أسمه أوريا وقيل كان من قومه فمال قلبه إليها ، وسأله أن يطلقها ففعل حياء منه فتزوجها وهى أم ولده سليمان عليه السلام وكان مثل ذلك جائزاً في دينه وفي عرف أمته فلا يخل بالمروءة عندهم .

وذكر صاحب هذا الرأي لتأييده أن الأنصار كانوا يواسون من هاجر عقب الهجرة بان ينزل أحدهم لمن آخاه من المهاجرين عن إحدى زوجتيه فيطلقها ليتزوجها هذا الآخر المهاجر .

ويقول صاحب هذا الرأي ، إن داود عليه السلام عوتب بالتعريض والتمثيل على أن مثل ذلك إن صح لآحاد الناس فلا يسوغ لنبي عنده من النساء كثيرات وليس عند خصمه سوى امرأة واحدة .

ونحن لا نوافق على هذا الرأي إذ لا يقبل العقل أن يكون في شريعة الله الحكم بجواز أن يعشق رجل زوجة أخر ويسأله طلاقها ليتزوجها كما أننا نجل سيدنا داود نبي الله عن أن يفعل مثل ذلك حتى لو فرض جواز ذلك في شريعته، فإنه شيء تمجه الطباع ، وتنبو عنه الأسماع بالنسبة إلى نبي كريم ، وأما ما حدث في الإسلام فهو عكس موضوع قصة داود المزعومة فإن الزوج الأنصاري هو الذي كان يعرض على أخيه المهاجر أن يطلق زوجته من أجله

[١] – الجامع لأحكام القرآن ج ٨ص ٥٦٢٥.

ليتزوجها مواساة له بسب هجرته وتركه أهله في مكة وكان أخوه المهاجر يعتذر ويقول له : بارك الله لك في اهلك .

وقال آخرون إن أوريا لم يكن تزوجها بل خطبها ثم خطبها داود فآثره أهلها على أوريا فتزوجها وكان ذنبه أنه خطبها على خطبة أخيه ، وهو وإن كان جائزاً في شرعه لكن مثله ينبغي أن يترفع عن مثل ذلك لأن أخاه سبقه إليها ، وهو مستغن بمن عنده من النساء الكثيرات، ولذلك عوتب ، وهذا رأي يمكن قبوله لأنه لا خطورة فيه كالذي قبله ، ويمكن تأويل الآية عليه كما يمكن أن يجاب على ما يوجه إليه من اعتراضات غير أنه يفتقر إلى دليل يثبت أنه خطب على خطبة أخيه .[١]

وقيل : إن الخصمين من الإنس ، وذنب داود أنه حكم بين الخصمين قبل أن يسمع كلام المدعى عليه فيما قاله المدعي ، وداود وإن كان له بعض العذر فيما ناله من الفزع لكنه باعتباره نبياً ينبغي أن لا ينسيه الفزع أصول القضاء ، وهذا الرأي وإن كان يتفق مع نص القرآن يرد عليه أن الخصم الذي تسور سور المحراب واقتحم عليه محرابه في يوم عبادته غير مكترث بجنود الملك وحراسه، له من الجرأة ما يجعله يدفع التهمة عن نفسه ويدل لذلك أن الآية وصفته بالغلبة في الخطاب ، فلابد أنه تكلم بعد كلام المدعي فوجده داود غير محق ، فقضى بينهما بما قضى ، ولم يذكر القرآن كلامه بعد المدعي اكتفاء بفهم أنه تكلم من حكم داود بينهما إذ لا حكم إلا بعد سماع الخصمين وحذف ما يعلم جائز، ويؤيده أنه روى سأله فأقر. [٢]

[١] – هذا عين ما أقوله في رد هذه الأقوال أنها أخبار ومثلها يحتاج إلى رواية صحيحة .

[٢] – لم أقف على ما ذكره الشيخ بصيغة التمريض التي تدل على ضعف الرواية .

وذهب أبو حيان إلى أن المتسورين للمحراب من الأنس ، وأن داود فزع منهم لأنهم دخلوا من غير الطريق المعتاد في يوم خصه بالعبادة وكان وحيداً فظن أنهم جاءوا لاغتياله وأن الله فتنه بهم ، فلما برز منهم اثنان للتحاكم ، اتضح أنهم جاءوه للتقاضي وفهم أنه أساء الظن بالله تعالى ، فخر ساجداً منيباً إلى الله تعالى ، مستغفراً من هذا الذنب ، فهذا الظن هو ذلته بدليل قوله تعالى ((وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك)) أي غفرنا له ذلك الظن إذ لم يتقدم سواه في قصته حتى يغفر له ، وهذا الذي قاله أبو حيان هو أحسن ما قيل في ذنب داود لاستناده إلى النص وحسن التأويل ويليه القول بأن زلته خطبته على خطبة أخيه ، ويقرب مما قاله أبو حيان ما قيل من أن قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوروا عليه المحراب فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بما قص الله من التحاكم ، فعلم غرضهم فقصد أن ينتقم منهم ، فظن ذلك ابتلاء من الله له ، هل يغضب لنفسه ؟ فاستغفر ربه مما عزم عليه من الانتقام منهم لحق نفسه فإنه عدول عن العفو اللائق به [1]

هذان النقلان عن القرطبي والشيخ / الطير وغيرهما كثير يدل على أن الاجتهاد في تحديد ذنب داود عليه السلام لن يلق التسليم من العلماء لان القول بذلك نسبي فما يراه البعض خلاف الأولى يراه الآخرون ذنباً لا تجوز نسبته لداود عليه السلام .

ج- الأمر الثالث الذي أرد به على هذه التفسيرات التي يراها أصحابها خلاف الأولى أن الكلام في حق نبي من أنبياء الله تعالى جعله الله خليفة في الأرض وأمرنا بالإقتداء به ونسبة أي مخالفة إليه جرأة وجسارة قد توقف صاحبها أمام ربه في يوم كان مقداره خمسين

[1] - تفسير ص وبعض الزمر للشيخ / مصطفى محمد الحديدي الطير ط. دار الطباعة المحمدية ص ٣٩، ٤٠.

ألف سنة ليأتي له بدليل ما قال ولن يستطيع لأن مدار الأمر على النقل ولا نقل ودليل ذلك أنه على أخف الأقوال وأكثرها أدباً مع الله وأقربها إلى ألفاظ الآية وأكبرها معرفة بحق نبي الله داود وهو ما رآه أبو حيان أنه فزع عليه السلام من رؤيتهم وظن بهم السوء وهو اغتياله في هذا الرأي قول أبي حيان أنه تاب من ظنه السوء بالله تعالى وهذا مما أخاف قوله في حق الأنبياء عليهم السلام .

والذي أدين به لله سبحانه في تفسير هذه الآيات أني أفوض علم الذنب الذي استغفر منه داود عليه السلام إلى الله تعالى ولكنه تفويض مشروط بأن هذا الذنب ليس كبيرة ولا صغيرة بل هو في حقه أمر خلاف الأولى بمعنى أنه جاء أمراً هو في نفسه صحيح وكان يوجد ما هو أصح منه فاستغفر ربه من عدم الإتيان بالأصح وفعل الصحيح ومقام الأنبياء وأحوالهم مع الله توجب ذلك .

وليس هذا قول الجاهل بالقرآن بل هو قول من يخشى على نفسه الجرأة على القرآن وعلى أصفياء الله عليهم السلام مع الإيمان بجميع ما جاء في القرآن على مراد الله من كلامه .

وفي هذا الرأي فائدتان :

الأولى : أن نعلم العقول أنها مهما سمت وعلمت وصح لها الاجتهاد فلها حدود تقف عندها وتسلم وفي ذلك كف للعقول عن الغرور وتعليم لها الذل والخضوع لرب العالمين سبحانه.

والثانية : الابتلاء والاختبار ومعنى ذلك أن الله سبحانه كما يبتلي العقول بالأمور الواضحة لتؤمن بها يبتليها بالأمور المشكلة التي تحتاج إلى اجتهاد وتأويل وجمع للنصوص كذلك يبتلي العقول بالأمور التي تحتاج إلى تفويض للعليم الخبير والثلاثة مناطق تعبد فكما يتعبدنا ويؤجرنا على الاجتهاد فيما يصلح

فيه الاجتهاد فكذلك يتعبدنا بالتسليم فيما سبيله كذلك ، والذي أراه : أن فتنة داود عليه السلام من الصنف الثالث .

ومع قولي بان هذا اجتهادي وما أدين به لله تعالى لكني لا أمنع أي اجتهاد مضبوط بقواعد الشرع موافق لما آمن به المسلمون من عصمة الله للأنبياء عليهم السلام عن المعاصي وتشهد له ألفاظ الآية من قريب . والله عز وجل أعلم وأجل وأحكم

خاتمة

وبعد الطواف مع آيات فتنة داود عليه السلام تبين ما يلي :

١. أنه لا عصمة إلا لكتاب الله تعالى ولرسوله ﷺ ، أما كتب التفسير ففيها الكثير المفيد أجزل الله لأصحابها الأجر والمثوبة ولكن مع ذلك فمهما علا كعب أصحابها في العلم والشرف فينبغي على المسلم المتخصص في العلوم الشرعية أن يقرأ فيها بعين بصيرة وقلب متيقظ لما وقع فيها من أقوال وروايات تحتاج إلى نقد وتفنيد .

٢. ما على المفسر من سبيل إذا ذكر ما يريد من أقوال إذا ذكر الإسناد وبين الطريق إلى ما يروى فإن من أسند فقد أحالك وغرضهم كان جمع العلم ، ولكن العيب على من يذكر الأقوال الضعيفة بل والموضوعة المكذوبة بدون بيان أو تعقيب مما يوقع المسلم غير المتخصص في الحرج .

٣. أنبياء الله عليهم السلام – ومنهم داود – في أعلى درجات الكمال البشري وليس للشيطان عليهم من سبيل ولا لأوليائه إلى قلوبهم من طريق ولذلك صح تنصيبهم قدوات للعالمين.

٤. كل ما يروى من قدح في عصمة الأنبياء إنما هو من الإسرائيليات وغرض اليهود من ذلك تشويه القدوات أمام الناس لأنهم لا يريدوا للأرض صلاحا ولا لعباد الله استقامة .

٥. مهمة العلماء ثقيلة في بيان زيف كل هذه المرويات والأمل في الله كبير أن يرزق بإعادة طبع كتب التفسير وبذيلها ما يوضح زيف الزائف وإحقاق الحق، اللهم ارزقنا الاعتصام بكتابك والعمل بنسبة نبيك محمدﷺ اللهم آمين.

كتبه

محمد صلاح أحمد شداد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين – القاهرة

ثبت أهم المراجع

القرآن الكريم

١- إعراب القرآن الكريم وبيانه تأليف أ /محي الدين الدرويش ط دار اليمامة وابن كثير بيروت .

٢- الباعث الحثيث ط مكتبة دار التراث .

٣- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ط دار الحديث – القاهرة .

٤- تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ط دار الكتب العلمية بيروت .

٥- تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط دار الكتب العلمية بيروت .

٦- تدريب الراوى شرح تقريب النواوي للإمام السيوطي ت / عبد الوهاب عبد اللطيف منشورات العلمية بالمدينة النورة ط الثانية ١٩٥٢ م .

٧- التوثيق على مهمات التعاريف لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي ط دار الفكر بيروت دمشق.

٨- تفسير ابن كثير ط دار الفكر بيروت.

٩- تفسير أبي السعود ط دار إحياء التراث العربي .

١٠- تفسير البيضاوى ط دار الفكر بيروت سنة ١٤٦٤، ١٩٩٦.

١١- تفسير ص وبعض الزمر للشيخ / مصطفى محمد الطير ط دار الطباعة المحمدية.

١٢- التفسير الكبير للإمام الرازي ط دار الفكر.

١٣- تقريب التهذيب للإمام ابن حجر ط دار الرشيد سوريا الطبعة الأولى .

١٤- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين العراقي تحقيق د / عبد الرحمن محمد عثمان ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ – ١٩٦٩ م .

١٥- تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر ط دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .

١٦- تهذيب الكمال للإمام المزي ط مؤسسة الرسالة – بيروت سنة١٩٨٠م .

١٧- جامع البيان للإمام الطبري ط دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٥ هـ .

١٨- الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله القرطبي ط دار الشعب القاهرة .

١٩- الجرح والتعديل لأبن أبي حاتم ط دار إحياء التراث العربي – بيروت سنة١٩٥٢ م .

٢٠- الحديث والمحدثون د / محمد محمد أبو زهو ط. دار الفكر العربي .

٢١- زاد المسير لابن الجوزي ط المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٤هـ .

٢٢- الزهد لهناد بن السري الكوفي ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت سنة ١٤٠٦هـ.

٢٣- سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر الدارقطني البغدادي ط دار المعرفة بيروت ط ١٩٦٦م.

٢٤- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة١٤١٣هـ .

٢٥- صحيح البخاري ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٢٦- صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

٢٧- الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢٨- طبقات الحفاظ للإمام السيوطي دار الكتب العلمية بيروت .

٢٩- فتح القدير للإمام الشوكاني ط دار الفكر بيروت .

٣٠- الفتوحات الإلهية لسليمان العجيلي الشهير بالجمل ط الحلبي .

٣١- الكاشف للذهبي ط دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة .

٣٢- الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد الجرجاني ط دار الفكر - بيروت سنة ١٩٨٨ م .

٣٣- الكتاب المقدس – العهد القديم ط. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٣م .

٣٤- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ط دار صادر بيروت .

٣٥- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت .

٣٦- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ط مكتبة لبنان ناشرون بيروت سنة ١٩٩٥م.

٣٧- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ط دار الكتب العلمية بيروت .

٣٨- مصنف بن أبى شيبة ط مكتبة الرشد الرياض تحقيق كمال يوسف الحوت.

٣٩- معرفة أهل التقديس بمراتب المعروفين بالتدليس لابن حجر مكتبة المنار الأردن تحقيق د. عاصم القريوني .

٤٠- المغنى في الضعفاء للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٤١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ م .

٤٢- النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام أ .د / محي الدين الصافي ط دار الطباعة المحمدية وفيات الأعيان ط دار الثقافة – بيروت تحقيق إحسان عباس .

تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبي في الميزان
د/ أسامه أحمد منصور مومن
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

الفهـــرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢
التعريف بداود عليه السلام	٤
لغويات الآيات	١١
تفسير فتنة داود عليه السلام	١٤
نظرات في المرويات	٢٧
ثاني التفسيرات في الآيات	٣٧
التعليق على الآثار	٤٠
الاحتمال الثالث	٤٢
ما أراه حقاً في المسألة	٤٥
الخاتمة	٥٢
أهم المراجع	٥٣
فهرس المحتويات	٥٧